

أضواء البيان

@ 313 وقوله : { وَلِلَّاهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيََ
الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيََ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى }
، وقوله : { أَلَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ
مَّنِّىَّ يُمْنَى } إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ
} . ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الساعة آتية ، وأكد ذلك بحرف التوكيد الذي هو (
إِنَّ) وبلام الابتداء التي تزلقها إن المكسورة عن المبتدأ إلى الخبر . وذلك يدل على
أمرين : .

أحدهما إتيان الساعة لا محالة . .

والثاني أن إتيانها أنكره الكفار ، لأن تعدد التوكيد يدل على إنكار الخبر ، كما تقرر
في فن المعاني . .

وأوضح هذين الأمرين في آيات أخر . فبين أن الساعة آتية لا محالة في مواضع كثيرة كقوله :
{ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيَجْزِيَ كُلُّ شَيْءٍ } وقوله : { وَأَنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ }
{ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَدِيدٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ
كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا } ، وقوله
: { وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ
مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ } ، وقوله : { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ
الْمُجْرِمُونَ } ، وقوله : { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ
مَّا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ } ، وقوله : { قُلْ إِنْ زَمَّ مَا عَلِمْتُمْ هَآءَ عِندَ رَبِّي لَا
يُجْلَى لَهَا لَوْ قُتِلَتْ هَآءَ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ رُضًا
تَأْتِيَكُمُ إِلَّا لَآءَ بَغْتَةً } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً . .

وبين جل وعلا إنكار الكفار لها في مواضع أخر . كقوله : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّاكُمْ } وقوله : { زَعَمَ
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُوا } وقوله : { إِنَّ هَآؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ
إِنْ هِيَ إِلَّا لَآءَ مَا وَتَدُنَا الْأَلْوَٰى وَلَآءَ مَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ } والآيات بمثل ذلك
كثيرة جداً . قوله تعالى : { فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } . أمر [] جل وعلا نبيه
عليه الصلاة والسلام في هذه الآية الكريمة أن يصفح عمن أساء الصَّفْحَ الجميل . أي بالحلم

والإغضاء . وقال علي وابن عباس : الصفح الجميل : الرضا بغير عتاب . وأمره صلى الله عليه وسلم يشمل
حكمة الأمة . لأنه قدوتهم والمشرع لهم . .
وبين تعالى ذلك المعنى في مواضع آخر . كقوله : { فَاصْفَحْ عَنَّهُمْ وَفُلْ سَلَامٌ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } { وَإِذَا خَاطَبَهُمْ }